مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (31) العدد الثاني (ديسمبر 2018)

معاني الشعر وموضوعاته عند الناقد خليفة التليسي

محمد سليمان بن عبد الحفيظ

كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية الجامعة الأسمرية الإسلامية

Email: m.hafeez@asmarya.edu.ly

المقدمة:

تمثل معاني الشعر وموضوعاته العنصر الثاني من عناصر المضمون الشعري بعد العنصر الأول وهو العاطفة الشعرية، وإذا كانت العاطفة من الأهمية بمكان في عملية الإبداع الشعري، فإن معاني الشعر وموضوعاته قد تكون أكثر أهمية منها، لأن العاطفة لا تتمثل في الشعر إلا من خلال معانيه وموضوعاته، بينما قد تتمثل المعاني والموضوعات دون عاطفة شعرية، وفي هذه الحالة سيكون الإبداع أقرب إلى النظم منه إلى الشعر.

وترجع أهمية هذا البحث من ناحية أولى، إلى كونه يتناول جانبا مهما من جوانب نقد الشعر عند ناقد ليبي شغل الساحة الثقافية بعامة، والأدبية بخاصة خلال عدة عقود من الزمن بمقالاته ومحاضراته وترجماته ومؤلفاته المتنوعة والمختلفة.[1] ومن ناحية ثانية، لكون موضوع البحث لم يلق العناية الكافية من البحث والدراسة، فعلى الرغم من تعدد ما كتب على الناقد وتنوعه، إلا أنني .

[1] ينظر: معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد، طرابلس، ط1، 2001م 1/563.

وفي حدود ما اطلعت عليه . لم أقف على من خصص بحثا أو دراسة تناول فيها معاني الشعر وموضوعاته عند الناقد، أما من ناحية ثالثة، فلأن تناول هذا الموضوع في هذا البحث سيتم من خلال النظرة الشاملة لمعظم ما كتبه الناقد حول الموضوع، المفرق في ثنايا كتبه ومقالاته.

ويهدف البحث إلى الكشف عن معاني الشعر وموضوعاته عند الناقد خليفة التليسي، ومعاييرها، وأهميتها للمبدع والمتلقي، وموقفه من طرق تمثلها في الشعر العربي القديم والحديث بعامة، والليبي المعاصر بخاصة، ومن المذاهب والتيارات الأدبية التي تناولتها، ومن موضوعات الشعر وأغراضه التقليدية، قبولا أو رفضا، عناية أو إهمالا.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، المتمثل في عرض مكونات البحث وفق مباحثه الرئيسة، ودراستها وتحليلها، وبلورتها في مفاهيم وتصورات، وصولا إلى استخلاص النتائج.

وبما أن موضوعات المرأة والطبيعة والحياة والوطنية، هي أهم وأبرز الموضوعات الشعرية التي تناولها التليسي وأولاها عنايته في كتاباته النقدية، فإن البحث في موضوعات الشعر عند الناقد سيتم من خلال أربعة مباحث، كل مبحث يتناول موضوعا واحدا من هذه الموضوعات، يضاف إليها مبحث خامس يخصص لموضوعات الشعر وأغراضه التقليدية.

العرض والتحليل

المبحث الأول . المرأة:

نال موضوع المرأة في الشعر العربي القديم والحديث اهتمام الناقد خليفة التليسي، ففي الشعر العربي القديم كتب أربعة مقالات في جريدة طرابلس الغرب، سنة1951م، ضمنها كتابه من الحصاد الأول، خصصها للحديث عن المرأة في شعر المتنبي، وشعر المعري، وشعر بشار بن برد. أما في الشعر العربي الحديث، فقد خصص للمرأة في شعر الشابي، والمرأة في أدب جبران، فصلين من كتابه (الشابي وجبران) الذي اعتبره سالم العوكلي مشروعا صاغ فيه التليسي

"نظرته إلى القصيدة الحديثة"[1]. كما خصص فقرة من كتابه رفيق شاعر الوطن للحديث عن الغزل في شعر رفيق.

ولم يقتصر حديث التليسي في هذين الفصلين، أو في هذه المقالات، عن المرأة في شعر هؤلاء، وإنما تعرض فيها أيضا لوضع المرأة في الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، ولوضعها عند بعض التيارات والمذاهب الأدبية الحديثة المعاصرة.

وبدا التليسي من خلال ما كتبه عن المرأة في الشعر، محبا للمرأة، ومدافعا عنها، ومنوها بدورها العظيم في الحياة، وداعيا إلى رفع ما لحق بها من ظلم وسوء معاملة واعتقاد، وإلى تكريمها وإنزالها المنزلة التي تتناسب مع دورها في الحياة.

ففي افتتاحية أول مقال كتبه عن المرأة في الشعر العربي، و شروعه في الدفاع عنها، ذكر أن النظرة إلى المرأة، تختلف باختلاف العصور والبيئات والأفراد ومميزاتهم، فنظرة البدوي تختلف عن نظرة الحضري، ونظرة الرجل العادي تختلف عن نظرة الفنان الشاعر، الذي يرى فيها . فوق ما يراه الرجل العادي من مظاهر العطف والرعاية والحنان والرقة، أو النقمة والسخط والخداع والرياء . "وسيلة من وسائل الإلهام والإبداع الفني ... وقلما تخلو حياة فنان أو شاعر أو موسيقي من امرأة تغدق عليه ألوانا من الفتنة والسحر، وترضعه بوحيها وإلهامها كما أرضعته بلبنها الصريف عندما كان في المهد صبيا"[2]. كما ذكر أن المرأة متهمة في عاطفتها، ترمى بكل نقيصة، وتسام سوء العذاب، اعتقادا بأنها السبب المباشر فيما يصيب العالم من شرور ومحن، ويرى التليسي أن هذا زعم باطل لا أساس له من الصحة، لأن "نصيب الرجل في ذلك لا يقل عن المرأة،

[1] . شعرية السرج السابح، سالم العوكلي، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ط1، 1370 و.ر.2002م، ص78.

[2] . من الحصاد الأول، خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1398و.ر. 1989م، ص207.

بل ليس من التجوز في شيء عندما يقال أنه يفوقها، لأنه قوي وهي ضعيفة"[1]. إضافة إلى ذكره أن التشبيب بالمرأة، لا يعظم إلا في العصور الرغدة، التي تعم فيها الرفاهية ويكثر فيها الترف، مما يقتل في نفوس الرجال النزعة الحربية، والتطلع إلى المجد وعظائم الأمر، وهو الأمر الذي فطن إليه خلفاء بني أمية، واستغلوه لصرف سكان الحجاز عن التطلع والاهتمام بأمور الخلافة[2].

إن هذه الافتتاحية التي صدّر بها التليسي كتاباته عن موضوع المرأة في الشعر العربي، أصبحت شبه منهج اعتمد عليه في كتاباته في هذا الموضوع، وهو منهج يمكن تلخيصه في الآتي:

- إن اختلاف النظرة إلى المرأة ناجم عن اختلاف العصور والبيئات والأفراد ومميزاتهم
- الذاتية، لمتمثلة في تكوينهم الجسمي والنفسي، وفلسفتهم في الحياة.
- الدفاع عن المرأة، واعتبار اتهامها في عاطفتها، ورميها بكل النقائص والشرور، زعم باطل لا أساس له من الصحة.
- إرجاع المبالغة في كثرة التشبيب بالمرأة إلى رغد الحياة، وشيوع الرفاهية والترف بين أبناء المجتمع.
- ينبغي أن تكون المرأة بالنسبة للشاعر محل تقدير وتعظيم وإكبار، لكونها فوق ما لها من صفات نبيلة، وسيلة من وسائل الإلهام والإبداع الفني.

فعدم اهتمام المتنبي بالمرأة في شعره، يرجعه التليسي إلى عصره الذي طغت فيه النزعة العسكرية، واتسم بطابع الجد والصرامة والقسوة، وكثرت فيه المغامرات والثورات والتقلبات السياسية، الأمر الذي فرض عليه أن ينشأ وفي نفسه طبيعة الجندي بما فيها من صرامة وحزم، وعفة وإباء، وتطلع إلى عظائم الأمور، ونبو عن سفاسفها، وبذلك لم يكن "شاعر المرأة، ولم يكن قلبه من القلوب التي يصهرها لاعج الحب، ويذيبها لافح الشوق، وتلهبها حرارة الصبابة،

[1] . نفسه، ص 208.

[2] . ينظر: نفسه، ص208.

بل كان شاعر حرب ونضال، تستهويه المعارك، ويشغفه المجد، وتأسره المعالي، فما المرأة إلا لعبة عنده لا تستحق أكثر من ثوان معدودات ثم تلفظ لفظ النواة"[1].

ويؤكد التليسي خلو ديوان المتنبي من أي قصيدة خصصت للمرأة، وحتى وإن وجدت، فهي ظاهرة التكلف، دفع إليها الشاعر دفعا، لكن له مقطوعات أو نسيب افتتح به عددا من قصائده، على عادة الشعراء في افتتاح قصائدهم بالنسيب، منه ما تجلى فيه سوء الظن بالمرأة، وتجريدها من المروءة، ووصفها بالخيانة والغدر، ومنه غير ذلك، تمثل فيه ذوقه الممتاز، ذوق العربي الأصيل، فهو "يستحسن من المرأة جمالها الطبيعي، ويضيق بجمالها المجلوب من العطّار، ولذا كانت البدويات آثر النساء عنده، فيصفهن في أبيات، تقف فريدة لا في شعره فحسب، بل في الشعر العربي منذ أقدم عصوره إلى الآن"[2].

وإذا كان مكان المرأة في شعر المتنبي باهتا وضئيلا، فإن مكانها في شعر المعري وبشار بارزا وجليا، لكن بصورة تسيء إلى المرأة، وتطعن في طهارتها وعفتها.

وقبل أن يتحدث التليسي عن المرأة في شعر الشاعرين، نجده يعرض وضع المرأة في المجتمع العربي في العصر العباسي الذي عاش فيه الشاعران، وفي العصور التي سبقته.

وإذا كان الباحثون قد أجمعوا على أن العصر الجاهلي أساء معاملة المرأة، فإن التليسي يرى أن المرأة لم تعرف عصرا اشتد في ظلمها، وأساء النظرة إليها كالعصر العباسي، ساعد على تكوين هذه النظرة عدة روافد "بعضها من شيوع الرقيق وكثرة الجواري والإماء، وما أنتجه ذلك من فساد في الأخلاق، وإخلال بالحياة الاجتماعية، وما استتبع ذلك من فساد في الحياة المنزلية بنوع خاص"[3].

---

[1] . نفسه، ص210.

[2] . نفسه، ص212.

[3] . نفسه، 188 . 189.

ويرى التليسي أن المرأة العربية، كانت سليمة الفطرة، عرفت بعفتها وطهارتها ومناعتها في العصور التي سبقت العصر العباسي، عندما كانت النزعة العربية والأخلاق العربية تتحكم في النفوس، فالعصر الأموي على رأي التليسي "كانت مكانة المرأة فيه على غاية ما يرجى لها من الكرامة والعفة والحصانة، والغزل الذي شاع في هذا العصر اتسم بطابع الدلالة على النزاهة، والإخلاص في الحب، وصدق العاطفة، وحرارة الصبابة، وشدة الشوق، والتوحيد في الحب"[1].

ويؤكد التليسي، أن الدارس لا يكاد يعثر في شعر العصر الأموي على ما كان يحفل به الشعر في العصر العباسي، من وصف "المحاسن الظاهرة للمرأة، وصفا يثير في الإنسان أحط ما فيه من غرائز، كما لا يعثر على هذه المبالغة الكاذبة التي لجأ إليها الشعراء لإخفاء عواطفهم الهزيلة، عندما نضب معين العاطفة الصادقة في قلوبهم"[2].

وإذا كان المعري وبشار على رأي التليسي يلتقيان في الإساءة للمرأة في شعرهما ويلتقيان في البيئة والعصر اللذين عاشا فيهما، وإن كان الأول عاش أيام انحسار الدولة العباسية، والثاني عاش أيام ازدهارها، فإنهما أيضا يلتقيان في عاهتهما الجسمية، المتمثلة في فقدان البصر، كما يلتقيان "في نظرتهما التشاؤمية إلى الحياة، ويختلفان في النتائج، فبشار دفعه تشاؤمه إلى اعتناق فلسفة حسية همها إرضاء ما في الإنسان من غرائز ... أو بتعبير آخر، الانتقام من الحياة قبل أن تنتقم منه، أما المعري فقد دفعه تشاؤمه إلى الزهد في الحياة، فلم تخدعه الشهوات الزائلة، ولم يتعلق بنعيمها الباطل، وسرابها الخادع، فأكثر من الحث على الإعراض عنها، والزهد فيها"[3].

[1] . نفسه، ص 188.

[2] . نفسه، ص 189.

[3] . نفسه، ص 190-191.

ويرى التليسي أن فلسفة كل منهما قد انعكست على صورة المرأة في شعرهما، فكانت مثالا في الإساءة إلى المرأة، والحط من قدرها، بلغ حد الذروة عند المعري، فتاريخ "الأدب العربي، قديمه وحديثه، لا يعرف شاعرا مفكّرا طعن في المرأة طعنة نجلاء كما فعل المعري، ولا شاعرا أطنب في وصف مثالبها ومعايبها، ورميها بكل نقيصة، وأكثر التحذير من مكايدها وإغوائها كما فعل أبو العلاء"[1].

أما بشار فيرى التليسي أن فلسفته الحسية في الحياة، دفعته إلى الإقبال عليها، وإلى الحقد على الناس، والمبالغة في كراهيتهم والتبرم بهم، مستخفا بما تواضعوا عليه من قيم أخلاقية، بظهوره بما لم يألفه الناس من الغزل الخليع الماجن المكشوف الذي يثير ويلهب "لذلك كان الباحث عن المرأة في شعره لا يجد له فكرة واضحة عنها، أو تصويرا لعواطفها، ولكن يعثر فيه على تصوير لبعض الأحاسيس التي تتعلق بمحاسنها الظاهرة، وهو في ذلك خبيث النية فاسد الطوية"[2]. ونموذج المرأة التي يتغزل بها، ويصف محاسن جسدها في شعره على حد قول التليسي: "لا يمثل المرأة الحصان، التي تجللت بالعفة، وتدرعت بالطهر، ولكنه يمثل نموذج المرأة الهلوك المترفة المنعمة، التي شاعت في عصره، نتيجة لتدفق الرقيق، وتزايد الإماء، وكثرة الجواري، وآية ذلك أن أكثر شعره قيل فيهن، وعلاقته بهن كانت عابرة"[3].

ويتأسف التليسي على النموذج الذي بدت به المرأة في الشعر العربي القديم، واستمر إلى عصر النهضة، ولم يعثر فيه على نموذج المرأة الوفية، الذي أبدعته عبقرية الشاعر (هوميروس) ولا على نموذج المرأة الذي أبدعه (دانتي) في (بياتريس) لأن "الشعر العربي القديم لم يكن يحفل بهذا النموذج، فقد نموذج

[1] . نفسه، ص 187.

[2] . نفسه، ص 203.

[3] نفسه، ص 204.

الزوجة الوفية، ونموذج الأخت الحنون، والأم الرؤوم، في زحمة نماذج المرأة المعشوقة، التي كانت كل شيء في الشعر العربي القديم"[1].

وحتى نموذج المرأة المعشوقة، لم يكن له سمة خاصة، أو ظاهرة مميزة، أو عناية بالجوانب الإنسانية والروحية في المرأة "فكلهن في ميزان الشعراء، خصر نحيل، وردف ثقيل، وغير ذلك من المحاسن الجسدية، أما المعاني السامية في المرأة، أما عواطفها وأحاسيسها، فذلك أمر لا نعرف له بداية إلا في شعرنا المعاصر"[2].

وينبري التليسي للدفاع عن المرأة، والرد على الادعاءات والمزاعم الباطلة التي ترمى بها فيقول: "فافهموا هذا يا من تسيئون الظن بالمرأة، ولا تذكرون لها إلا الجوانب السيئة، وافهموا هذا يا من ترددون في غفلة أن المرأة شر ... وهل المرأة شر؟ أم أنا فلا أجدني مؤمنا بهذا القول، لأنني إذا أقررته، فلا يبعدني عن الشر، بل يضعني في صميمه، لأن المرأة أمي، والمرأة أختي، والمرأة ابنتي، وما معنى هذا؟ معناه أنني ابن الشر، وشقيق الشر، وقرين الشر، ومنجب الشر"[3].

ويرى التليسي أن مكان المرأة العربية وصورتها في الشعر، بقيا على ما كانا عليه إلى بداية القرن العشرين، حيث تظافرت الجهود من قبل الشعراء والمصلحين لتصحيح هذه المكانة، وتعديل هذه الصورة وإرجاعها إلى الوضع السليم الذي يقضي به منطق الكرامة والتقدم، وذلك في مختلف أقطار الوطن العربي، لأن واقع المرأة متشابه في جميع الأقطار، وإن تفاوت نتيجة لما أصاب كل قطر من التقدم والرقي[4].

يلاحظ على التليسي، من خلال ما أبداه عن وضع المرأة في الشعر العربي القديم، وفي شعر هؤلاء الشعراء الثلاثة، أنه التزم بشبه المنهج الذي قرره

---

[1] . الشابي وجبران، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ تونس، ط4، 1398هـ . 1978م، ص 110.

[2] . نفسه، ص112.

[3] . نفسه، ص111.

[4] . ينظر: نفسه، ص 113 . 115.

في افتتاح أول مقال له عن المرأة في الشعر العربي. وهذا يعبر بشكل أو بآخر أن المنهج الذي اعتمد عليه في تناول هذا الموضوع، هو المنهج الاجتماعي والمنهج النفسي.

فقد ربط وضع المرأة في هذا الشعر، بوضعها والنظرة إليها في العصر والبيئة وحالها فيهما، أي الوضع الاجتماعي والمعيشي السائد فيهما، إضافة إلى التكوين الجسمي والنفسي، عند تناوله للمرأة في شعر المتنبي والمعري وبشار.

وإذا كان التليسي قد افتتح مقالاته عن موضوع المرأة في الشعر العربي القديم ممثلا في ثلاثة من شعراء العصر العباسي، بما قرره في شبه المنهج الذي أشرت إليه، فإنه قرر في بداية حديثه عن المرأة في الشعر العربي الحديث، ممثلا في شعر الشابي أمرا آخر غير ما قرره سابقا، يتمثل في حقيقة يخطئ فيها كثير من الباحثين عند تناولهم لموضوع المرأة في الشعر وهي: "عدم تمييزهم بين النغمة التي تصدر عن الحرمان فلا تصور إلا اللهفة والحنين والشوق، وتسبغ على المحبوب كل صفات الرقة والجمال، وبين النغمة التي تصدر عن الحب، حب الذي عرف المرأة وعاشرها، ففهمها وفهم طباعها، فلم يزد في التشبيب بها على وصفها بصفاتها المميزة لها"[1].

وهذا يشير بشكل او بآخر إلى أن وضع المرأة في الشعر العربي قد تغير، وأن وضعها في شعر الشابي يختلف عن وضعها في شعر المتنبي والمعري وبشار.

ويبني التليسي حكمه على المرأة في شعر الشابي، بناء عل هذه الحقيقة التي قررها، ويرى أن النغمة في شعر الشابي، هي من قبيل النغمة الأولى، صادرة عن نفس محرومة فلا يتنفس فيها إلا الشوق والحنين، ولهذا فهو مع القائلين "بأنه كان يتغنى بالمرأة كمثل أعلى، لا امرأة معينة، وقصيدته الرائعة

[1] . نفسه، ص117.

(صلوات في هيكل الحب) لا تصور امرأة قدر ما تصور نفسه، ونزوعه إلى الحب البريء الطاهر، الذي يرفع المرأة عن النظرة القديمة"[1].

ويؤكد التليسي أن مصدر نظرة الشابي إلى المرأة، هو حرمان فرضته البيئة والتقاليد، التي حالت دون تحرره وانطلاقه، فكان من ذلك هذا النغم الحزين، وكانت صلاته في هيكل الحب، وهي "أرفع صلاة توجه إلى المرأة في أدبنا العربي، قديمه وحديثه، لما تحفل به من ومضات إنسانية رائعة، وسمو في النفس، وارتفاع عن شوائب الجسد"[2].

ويسترسل التليسي في الإعجاب والإشادة بنظرة الشابي إلى المرأة من خلال صلاته في هيكل الحب، ويرى أن الشابي "لا يهتم بالغدائر المسترسلة، والخدود الموردة، والشفاه الباسمة، والعيون الحالمة، والنهود المهتزة، وكل صور الفتنة النسائية، إلا بمقدار ما تشف عن طهارة الروح، ونقاء القلب، فليس تعلقه بها قائما على المحاسن الجسدية، ولم يكن مشغوفا بما ينطوي عليه كيانها اللافح من حرارة، ولكنه كان منصرفا إلى ما في جوانحها من معاني الأمومة والعطف والمحبة، تلك المعاني التي افتقدتها في واقع الحياة، إنه يعشقها، ويعشق فيها هذه المعاني، التي ضاعت منه في معركة الحياة القاسية"[3].

ويعتقد التليسي أن الشابي قد تأثر بنظرة جبران إلى المرأة، وهي على رأيه نظرة فيها صوفية ورقة وحنان، فقد كانت مكانة المرأة "في حياة جبران، مكانة عظيمة بارزة، لأنه أديب وفنان، استيقظ إحساسه بالحياة على هدهدة حنانها، وأبصر طريقه في الوجود على نور رعايتها، وصعد قمة المجد مرفوعا بالقوة التي أمدته بها، وخاطب العالم من خلال الوحي والإلهام الذي زخرفت به دربه"[4].

---

[1] . نفسه، ص117. وينظر: ديوان أبي القاسم الشابي، قدم له وشرحه: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ .2005م، ص63.60.

[2] . نفسه، ص119،

[3] . نفسه، ص120.

[4] . نفسه، ص128.

وجبران في أدبه "لا يقف عند المظاهر المادية للمرأة، أو الجمال الجسدي، وإنما يمضي إلى الأعماق، إلى خلجات النفوس واهتزازات العواطف"[1].

وجبران على رأيه أديب وفنان عبقري، وأثر المرأة في حياة العباقرة والنابغين "حقيقة ثابتة لا جدال فيها، وتلك الحياة المنتجة الخصبة التي عاشها أولئك العباقرة الذين كانوا شموعا مضيئة في طريق الإنسانية، إنما كانت مستمدة في أغلب أحوالها من ذلك النبع الفياض بالحب والعطف والحنان، الذي كانت المرأة تغمر به عواطفهم"[2].

إن إسهاب التليسي في كلامه عن واقع المرأة العربية، وما لاقته من حيف وجور، وعن صورتها المشوهة في الشعر العربي، وحماسه في الدفاع عنها، وفي الإشادة بدورها المؤثر في الحياة، وعلى الشعراء والنابغين، وفي تأكيده على أهمية أن تلقى المكانة المرموقة والتكريم اللازم، يشعر القارئ بأن التليسي قد تجاوز الممارسة النقدية الأدبية إلى الممارسة النقدية الاجتماعية، ربما تكون أحوال المرأة في الوطن، وشعوره بالمسؤولية، وأمله في التغيير والتطوير، هي من دفعته إلى ذلك، وأشاع في أسلوبه هذه النزعة الإصلاحية.

ومع ذلك، فإن مما يؤخذ على تناول التليسي لموضوع المرأة في الشعر العربي القديم، هو اختياره لثلاثة شعراء، تمثلت المرأة في شعرهم بصورة سيئة، ولم يختر شاعرا آخر، ممن تمثلت في شعرهم الصورة الحسنة للمرأة، من شعراء العصر الأموي الذين أشاد بصورة المرأة في شعرهم، أو من غيرهم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فعلى الرغم من إشادته بالغزل العفيف في الشعر العربي القديم، والذي رآه متمثلا في غزل العذريين في العصر الأموي، إلا أنه لم يشر إلى اتجاه آخر من اتجاهات الغزل العفيف في الشعر العربي القديم، شبيه باتجاه العذريين، وأسبق منه في الوجود في ديوان الشعر العربي، والمتمثل في اتجاه (المتيّمين) الذين يمثلون الاتجاه الثاني من شعر الغزل في الجاهلية، "فقد

[1] . نفسه، ص132.

[2] . نفسه، ص127.

عرف المجتمع الجاهلي في باديته ومدنه طائفة من الشعراء، يمثلون الاتجاه الروحي العفيف، في نفس الإطار العام الذي دارت فيه قصص العذريين الأمويين، واحتفظ رواة الأدب بكثير من أخبارهم وشعرهم وأطلقوا عليه اسم (المتيمين) تمييزا لهم عن غيرهم من سائر الشعراء العشاق"[1].

المبحث الثاني . الطبيعة:

مصطلح الطبيعة من المصطلحات التي اختلف في معناها اختلافا واسعا في شتى مجالات
المعرفة، وهو في الشعر "كل ما عدا الإنسان من الخليقة، مما يجعله الشاعر موضوع وصف أو باعثا على التأمل"[2].

ولم يجعل النقاد القدامى موضوع الطبيعة في باب أو غرض مستقل من أبواب الشعر وأغراضه المختلفة، وإنما تناولوه ضمن باب أو غرض الوصف، الذي حددوا معياره بالقدرة على تمثيل الموصوف كما هو في الواقع، دون اعتبار لعلاقته بالتجربة الشعرية[3].

وقد كان التليسي مدركا لواقع شعر الطبيعة في الشعر والنقد العربيين القديمين، ولهذا كان تناوله لشعر الطبيعة يتم من خلال تحديد طبيعته في الشعر العربي القديم، وعند من سار على نهجه من شعراء المدرسة التقليدية، ومن خلال التحولات التي طرأت عليه عند شعراء العصر الحديث، والحال التي هو

[1] . الحب المثالي عند العرب، يسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص58.

[2] . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهنس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص235.

[3] . ينظر: نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1398هـ . 1978م، ص118 . 122. والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو الحسن علي ابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ . 1981م، 294/2 .301 .

عليها عند الشعراء الليبيين، لكنه ينبه في أكثر من مكان . حين التحدث عن الطبيعة عند أي شاعر . إلى ضرورة التمييز بين إحساسين "بين من يصف الطبيعة لأنه يراها وسيلة من وسائل اللذة والتنعم، وبين من يصف الطبيعة لأنه يعبدها، وينظر إليها نظرة عاطفية رفيعة، تنبثق من مشاركته لظواهرها، والاندماج في محاسنها، الأول قد يقف عند المشاهد الطبيعية، فيستقصيها ويتتبع دقائقها، وتخرج من قراءته بلوحات فنية رائعة، لكن هذه اللوحات على روعتها وجمالها، تفتقر إلى إحساس الخاشع المتصوف الذي نجده عند الشاعر الذي يصف الطبيعة وصف العابد لروعة معبده"[1].

ويرى التليسي أن الذي ينظر إلى الطبيعة نظرة عاطفية، ويغمرها بالأحاسيس والمشاعر، هو الشاعر الوجداني، وهو الذي تتمثل فيه صفة الشاعرية، أما الذي يصف الطبيعة كما هي، ولو كان بكل دقة وأمانة، فهو لم يزد شيئا على وظيفة المصور الفوتو غرافي[2].

أما حال الطبيعة في الشعر العربي، فيرى التليسي أن السمة الغالبة عليه، هو التصوير النقلي، وتجسيد المشهد كما هو في الواقع، ويرجع التليسي شيوع هذا الأسلوب، وهذه الطريقة بين الشعراء "إلى سيطرة تقاليد القصيدة الجاهلية، وقد ظلت هذه التقاليد مسيطرة غالبة على الشعر، حتى أدركت شعر المدرسة التقليدية الحديثة، ومن زعمائها (شوقي) الذي يعتبره الباحثون من أقدر المصورين للمشاهد الطبيعية"[3].

وإذا كان التليسي يقبل بالوصفي النقلي للطبيعة من قبل الشاعر الجاهلي، لأنه يمثل المرحلة البدائية في التكوين الشعري، فإنه يعجب من سيطرة هذه

---

[1] . الشابي وجبران، ص75. وينظر: رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس . تونس، 1988م، ص150 . 151.

[2] . ينظر: رفيق شاعر الوطن، ص150 . 152.

[3] . نفسه، ص153.

النزعة على من تلاهم، وبخاصة الشعراء المعاصرين، وفي مقدمتهم أتباع المدرسة التقليدية[1].

وتعطيل التجاوب مع الطبيعة والتفاعل معها على رأي التليسي هو السبب الذي أدى إلى الفهم الخاطئ لوظيفة التشبيه، التي لا زال يتبناها الكثير من الأدباء والنقاد في هذا العصر، ممن يدرسون الأدب دراسة بلاغية "فلا يبحثون عن وجدان الشاعر فيما يقول، ولكنهم يبحثون عن براعته في اصطياد التشابيه التي توفق بين مشهدين في الطبيعة"[2].

ويعتبر التليسي من مظاهر التجديد في الشعر العربي المعاصر، تغير نظرة الشاعر إلى الطبيعة وموقفه منها، عما كان سائدا في الشعر العربي "فلم نعد نراه ينفصل عن المشاهد، ويسرد علينا انطباعاته، ولكنه يضعنا في صميم التجربة، ويشعرنا باستغراقه النفسي فيما يصف وفيما يصور، وفيما يستلهم من أفكار خالدة، وتأملات عميقة"[3].

ويعزي التليسي هذا الأمر إلى النزعة التأملية، وإلى الدعوات "التي غلّبت ذاتية الشاعر، وارتبطت بمفاهيمها الوجدانية بالمدرسة الرومانطيقية الغربية، التي تميزت بتقديس الطبيعة وعبادتها، والهرب إليها من شرور الحياة وقسوتها"[4].

ويميل التليسي إلى النزعة الرومانسية في شعر الطبيعة، ويفضلها على نزعة المدرسة التقليدية، في هذا اللون من الشعر، وانعكس هذا الميل أو هذا التفضيل، على موقفه من شعر الطبيعة في شعر شاعرين من شعراء المغرب العربي، خص كل واحد منهما بدراسة تناول فيها شعر الطبيعة في شعره، الأول ينتمي إلى المدرسة الرومانسية، وهو الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، والثاني ينتمي إلى المدرسة التقليدية الحديثة، وهو الشاعر الليبي أحمد رفيق المهدوي.

---

[1] . ينظر: نفسه، ص149 . 150.

[2] . نفسه، ص153.

[3] . نفسه، ص154.

[4] . نفسه، ص154.

فشعر الطبيعة عند الشابي على رأي التليسي تحس عند قراءته أن الشاعر "يعبد الطبيعة عبادة عميقة تصل إلى درجة الفناء في جمالها الأخاذ، وتدرك أن شعوره بها لم يكن شعورا بسيطا، ولكنه كان شعورا عميقا، لأنه لا يتذوقها في سذاجة المتلذذ المتنعم، الذي لا يشغله منها إلا ما تهيؤه له من راحة وظل وفير"[1].

والشابي لا يهتم بتفاصيل المشهد الطبيعي، لأنه لا يستطيع تأمله على انفراد "فهو إذا تأمله أضفى عليه إحساسه وآلامه، وهو في ذلك يسير وفق النزعة الرومانسية، تلك النزعة التي تتجه إلى الانصراف إلى الطبيعة، والهيام بما فيها من سحر وغموض، والركون إلى أحضانها التي تهيء البعد عن الإنسان وشروره، وفوضى الحياة وما فيها من رذيلة وفساد"[2].

أما شعر الطبيعة عند رفيق على رأي التليسي، فهو مختلف كلية عما هو عند الشابي "فهو لا يشعرك بأي صلة روحية عميقة، ولا يملأ النفس بأي دفقة وجدانية، لأنه حين يصف الطبيعة، لا يقدر على التحرر من التقريرية، والتزام المعالم المادية للمشهد، فلا انطلاقة روح، ولا تأمل، ولا استغراق في مناظر جميلة، يشرف منها الشاعر على عوالم رحيبة ... إن الطبيعة عند رفيق، مسرح لهو، ونزهة بصر، وليست هيكل تصوف وعبادة"[3]. ويعرض التليسي قصيدة رفيق: (جاء الربيع) كاملة، ليؤيد حكمه على وصف الطبيعة في شعره.[4]

وهذا الاختلاف في شعر الطبيعة بين الشابي ورفيق، يعود في أحد جوانبه، إلى أسلوب وتقاليد المدرسة التي ينتمي إليها كل واحد منهما في التعامل مع الطبيعة.

---

[1] . الشابي وجبران، ص75.

[2] . نفسه، ص76.

[3] . رفيق شاعر الوطن، ص166.

[4] . ينظر: نفسه، ص160-162. وديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي ـ الفترة الثالثة . المطبعة الأهلية، بنغازي، 1382هـ . 1962م، ص85-87.

فإذا كان الشابي ينتمي إلى المدرسة الرومانسية الحديثة، فإن رفيق من وجهة نظر التليسي "من الشعراء الذين يسلكون عند التقييم ضمن المدرسة الكلاسيكية الحديثة، تلك المدرسة التي كان من أعلامها (شوقي) و(حافظ) و(الزهاوي) ...وهم جميعا لم يخرجوا في ذلك عن التقاليد التي اختطها الشاعر العباسي لموقف الشاعر العربي من الطبيعة، إذ يندر أن تجد من بينهم من تميز بإحساس خاص، أو بموقف خاص، أو بفلسفة خاصة، ترتبط مع مشاهد الطبيعة، أو توحيها إليه مشاهد الطبيعة التي يقع عليها بصره ... والشاعر الكلاسيكي لا يقصدها إلا في المواسم التي يقصدها فيه جميع الناس، ولا يقف واصفا إلا لما اتفق الناس على الإعجاب به"[1].

ويرى التليسي أن حال الشاعر الليبي في تصوير الطبيعة، وتعامله معها في شعره، ربما يكون أسوأ من حال بقية شعراء العرب في القديم والحديث، فهو ينفي وجود الشاعر الذي اندمج في الطبيعة، وصورها تصويرا رائعا ينفذ إلى أعماق القلوب، أو الذي خلع على الطبيعة حياة من عواطفه، وأسبغ عليها من أحاسيسه ما يجعلها قلبا نابضا ينتزع من مشاعره وخواطره وأفكاره، أو الذي يستقي من نبعها الصافي، فتحس في شعره، رقرقة الغدير، وزقزقة العصفور، وإشراقة الفجر، وشحوب الأصيل، وهدوء الصحراء، وسجو البحر وسكونه، وذلك على الرغم مما توفر له في أرض الوطن من مناظر الطبيعة الخلابة الملهمة.[2]

ويتوجه التليسي بخطابه إلى الشعراء الليبيين التقليديين، مطالبا إياهم بالالتفات إلى طبيعة بلادهم، وتصويرها في شعرهم، فيقول: " لا تقولو أن أرضنا خالية من المناظر التي تلهم، فنحن لانطلب منكم المعجزات، وإنما نطلب منكم أن تصوروا لنا هذه الطبيعة، كما صور الشاعر الجاهلي طبيعة بيئته تصويرا

[1] . نفسه، ص156.

[2] . ينظر: رحلة عبر الكلمات، ص40.

رائعا، ما نزال نفزع إليه في لهفة، كلما شئنا الحياة في ذلك الجو البسيط الساذج"[1].

وقد يبدو من دعوة التليسي هذه، أنه كان متناقضا في كلامه عن شعر الطبيعة، فهو في هذه الدعوة يطالب الشعراء بأن يترسموا خطى الشاعر الجاهلي في تصوير طبيعة بيئته، واعتبره تصويرا رائعا، نفزع إليه في لهفة، بينما رأيناه في كلام سابق يشير إلى أن السمة الغالبة لتصوير الطبيعة في الشعر العربي، هي التصوير النقلي، وهذه السمة أرستها تقاليد القصيدة الجاهلية، ويعتبر الشاعر من حيث هو شاعر "ينبغي أن يعطي لنا صورة واضحة عن مشاعره، وما أثاره المنظر في نفسه. أما إذا وصفه وصفا نقليا، فلم يكن قد زاد شيئا عن وظيفة المصور الفوتوغرافي، ولهذا الوصف مكانه من شعر الطبيعة هو مكان العدسة اللاقطة المرتبطة بالواقع الخارجي"[2].

فهل يكتفي التليسي بأن تكون وظيفة الشاعر الليبي هي وظيفة المصور الفوتوغرافي، مهمته نقل المناظر الطبيعية كما هي في الواقع؟

قد يكون واقع تصوير الطبيعة في الشعر الليبي في تلك الفترة، وإمكانيات الشعراء الليبيين وقدراتهم الفنية، هي التي دفعت التليسي إلى عدم المبالغة في طلبه، والاكتفاء بترسم خطى الشاعر الجاهلي في وصف الطبيعة في المرحلة الأولى، ثم التحول في مرحلة تالية إلى الوصف الوجداني لمناظر الطبيعة.

المبحث الثالث ـ الحياة:

موضوع الحياة في الشعر موضوع واسع، لا يقف عند جانب معين من جوانبها، ولا عند مظهر محدد من مظاهرها، إنه الحياة بما فيها من خير أو شر، جميل أو قبيح، نافع أو ضار، مفرح أو محزن، ...إلخ، وهو لا يقتصر على الحياة في بعدها الوطني أو القومي، وإنما يتجاوزه البعد الكوني الإنساني، وما شاع فيه من مظاهر وحقائق وقيم، كان لها تأثيرها على مجرى الحياة.

[1] . نفسه: ص40.

[2] . رفيق شاعر الوطن، ص152.

وموضوع الحياة في الشعر عند التليسي، ليس موضوعا مهملا أو ثانويا، وإنما هو موضوع من مواضيع الشعر الأساسية، التي يتحدد من خلالها قيمة الشعر ورسالته ومعاصرته، بل حياته أو موته، كما تتحدد من خلالها عظمة الشاعر وكبره وتميزه.

فقيمة الشعر عند التليسي "ليست في مراعاة الجوانب الأخلاقية، ولكنها في شدة اتصاله بالحياة ...فالشعر ليس بألفاظه ولا بأوزانه، ولكن بشيء اسمه الروح، روح الشاعر المتأملة التي تغوص على الأسرار البعيدة الكامنة في أعماق الحياة، وليست قيمته في تشبيهاته واستعاراته، وإنما قيمته فيما يأخذ وينتزع من صميم الحياة من حقائق مرة أو حلوة"[1].

ومدى اتصال الشعر بالحياة، هو الذي يحقق رسالة الشعر عند التليسي، وهو الذي على أساسه يحكم بحياة الشعر أو بموته. فرسالة الشعر عنده، ما كانت "طلب فضل ولا تلمس إحسان، بل كانت وما تزال التعبير عن الحياة، وتصوير ما يدور فيها من صراع فكري وعاطفي، مستمدا من قلبها الدامي أفكاره وآراءه، وتبصير الناس بمواقع الحقيقة والخير والجمال. فالشاعر مطالب بأن يوزع نفسه في نفوس كثيرة، حتى يشعر بآلام الإنسانية وسعادتها، فيفرح لفرحها، أو يحزن لحزنها، مطالب بأن يتصل بالحياة اتصالا تاما، حتى يأتي شعره قطعة حية منها، وكل شعر لا يقوم على هذا الأساس فهو ميت مهما حاول صاحبه أن يلقي في روعنا أنه من الحياة وإليها"[2].

ومفهوم المعاصرة عند التليسي لا يتعارض مع موضوع الحياة في الشعر، ولهذا فإن تراثنا العظيم عنده لازال يتميز بالمعاصرة "تلك المعاصرة التي تتمثل في تعبيره عن الجوانب الباقية الخالدة من نفس الإنسان، وفي تعبيره الصادق

[1] . رحلة عبر الكلمات، ص42 . 43.

[2] . نفسه، ص140.

العميق عن الشخصية العربية، وفي بعدها القومي والإنساني، وصراعها في الوجود"[1].

وكما أن موضوع الحياة في الشعر عند التليسي عنصر من عناصر تحديد قيمة الشعر ورسالته ومعاصرته، فإنه أيضا عنصر من عناصر تحديد مكانة الشاعر، واتصافه بالصفات المميزة.

فالشاعر العظيم عنده "هو الذي يصور لك الحياة باسمة عابسة، مشرقة ومتجهمة، ضاحكة وباكية، ساخرة وجادة، فاجرة وطاهرة، والشاعر العظيم هو الذي يشلك بالكون في كل لمحة من لمحات ذهنه، وفي كل ومضة من ومضات فكره، وفي كل دفقة من دفقات وجدانه، والشاعر العظيم إنسان ممتاز نفذ إلى حقائق الحياة وعاش فيها، فبدت له واضحة جلية، فهو يضمنها شعره، ويقدمها حارة ملتهبة إلى القلوب الشاعرة، والشاعر العظيم هو الذي يفد على الكون كالشعاع السني فيطلعه على صور لم يرها من قبله إنسان"[2].

وموضوع الحياة في الشعر، لا يعني عنده مجرد تناولها أو تصوير عناصرها ومظاهرها المختلفة كما هي في الواقع، أو كما اعتاد الناس على فهمها وتصويرها، وإنما تناولها بعمق، وبفلسفة خاصة، للكشف عن أسرارها البعيدة، الكامنة في أعماقها. فالشاعر العظيم الذي يعيش لنفسه، ويخلص في التعبير عن وجدانه عند التليسي لابد له "من فلسفة في الحياة، ذلك لأنه يملك نفسا ممتازة، تعلو على مستوى الأنفس الشائعة بين الناس، وهذه النفس تجعله يتفرد بمذهب في الحياة، تمليه عليه تجاربه وشعوره"[3].

وأبو ماضي عند التليسي شاعر عظيم "أخلص التعبير عن نفسه، فكانت له من ذلك فلسفة في الحياة امتاز بها بين شعرائنا المعاصرين، وهي فلسفة بسيطة تحب الحياة، وتحببها إلى الأحياء...لا تنكر ما في الحياة من شرور

[1] . مختارات خليفة محمد التليسي من روائع الشعر العربي . المفردات . خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس . تونس، 1991م، ص23.

[2] . رحلة عبر الكلمات، ص42.

[3] . من الحصاد الأول، ص162 . 163.

وتعاسة، ولكنها لا تستسلم لهذه الشرور، وإنما تبعث في الإنسان قدرة على التسامي والتفوق عليها"[1].

والشاعر الكبير عند التليسي "لابد له من فلسفة في الحياة، ولا بد له من اتجاه معين يختلف فيه عمن سبقوه من الشعراء"[2]. والشاعر الحديث المعاصر عنده، لا يكون إلا "إنسانا مثقفا، عميق المعاناة لمأساة الوجود الإنساني، وأهواله الكبيرة، وتعقيداته المتعددة"[3]. والشاعر عنده إنسان ممتاز "ومادام إنسانا ممتازا فلا بد له من أن يؤدي ضريبة امتيازه، إحساسا بالكون، وتفهما للحياة، وتذوقا لما يجري بها"[4].

والشاعر العربي، على الرغم من الضغوطات التي مورست عليه، من قبل القبيلة، ثم الحكام، ثم النظم الاجتماعية، فإنه على رأي التليسي" قد عبر عن أجمل تجاربه في الحياة، وحدد موقفه، وصور شخصيته، ونظراته، وخفقاته الوجدانية، في أبيات قليلة مفردة"[5].

وعدم الإحساس بالحياة علة من علل جمود الشعر الليبي الحديث عند التليسي، فشعراء المرحلة الكلاسيكية في ليبيا من وجهة نظره، يعوزهم الإحساس بالحياة، إنهم يكتفون بالعيش ولا يتطلعون إلى الحياة، والفرق شاسع بين الأمرين، فالمعيشة اكتفاء بما يحقق الوجود "أما الحياة فإنها تذوق وفهم، ونفاذ إلى حقائق الكون، واندماج وفناء في جماله وقبحه، في فضيلته ورذيلته ... إنها تأمل في كل كبيرة وصغيرة في هذا الوجود، إنها سعي متواصل لتحقيق إنسانية الإنسان"[6].

---

[1] . نفسه، ص163.

[2] . رحلة عبر الكلمات، ص41.

[3] . نفسه، ص54.

[4] . نفسه، ص43.

[5] . قصيدة البيت الواحد، خليفة محمد التليسي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م، ص42.43.

[6] . رحلة عبر الكلمات، ص43.

أما مظاهر التجديد في شعر الحياة، فإنه يراها قد تمثلت في أتم صورها عند المدرسة المهجرية، فهي التي ثارت على مواضيع الشعر التقليدية "وسمت به عن الأغراض الرخيصة التافهة، وارتفعت به إلى آفاق إنسانية سامية، كما دفعته إلى الحياة يصارع خضمها الزاخر، ويصور واقعها، فكان خير معبر عما فيها من أتراح وأفراح"[1].

فالأدب المهجري عند التليسي هو المغذي الأول للحركة ألأدبية المعاصرة، وذلك بتحرره في التعبير والشعور والتفكير، فتحرره في التعبير تمثل في الثورة على أدب اللفظ "وتحرره في الشعور يظهر في عمق الإحساس بالحياة والتأمل في خفاياها، أما التحرر في التفكير فقد دفعهم إلى الاتجاه بالأدب نحو خدمة المجتمع الإنساني، والانتفاع به عن طريق تحسين ذوقه، واطلاعه على كل خافية من حقائق الحياة"[2].

والشابي عند التليسي من الشعراء المجددين في موضوع شعر الحياة، ومن الداعين إليه، فقد كان ثائرا على مفهوم الشعر الذي يجعل من الشاعر مؤرخا لعصره وعاداته وأخلاقه "مؤمنا بأن الشاعرية الحقة وقف على أولئك الشعراء العالميين، الذين يرتفعون بأرواحهم إلى آفاق فسيحة أرحب وأسمى من سماء البيئة المحدودة، متغزلين بدنيا غريبة رائعة، لم تخلقها الحياة إلا في أعماق قلوبهم، الملأى ببهاء الكون ومثل الحياة العليا، أولئك الموهوبين الذين يسبقون عصرهم، فيغنون أشهى أغاني الجمال، وأعذب أناشيد القلب البشري لأجيال لم تخلق بعد، وأولئك الذين لا يصورون عادات العصر المتغيرة المتحولة، بل عادات الحياة الخالدة على الدهر"[3].

إن ما يلاحظه الدارس على كتابات التليسي عن موضوع الحياة في الشعر هو تأكيده على أهمية أن تكون للشاعر فلسفة في الحياة يصدر عنها في شعره،

---

[1] . من الحصاد الأول، ص161.

[2] . نفسه، ص161.

[3] . الشابي وجبران، ص16 . 17.

لا أن يكون تابعا لما تعارف عليه الناس أو شائعا بين الشعراء، لأن السير في ركاب ما تعارف عليه الناس، أو شاع بين الشعراء، لا يغير شيئا من واقع الحياة، ولا من مسلك شعراء الوطن، بل يزيد من تكريس هذا الواقع، وهذا المسلك، اللذين يعتقد بتأخرهما، وجمودهما، وهو من دعاة التغيير والتطوير، ومن المؤمنين بأن النضج العقلي والفكري في المجتمع متوقف على النضج الشعري. يقول: "ألا فليعلم الجميع أني ما سمعت بأن أمة ما بلغت أقصى درجات النضج العقلي والفكري، إلا تيقنت أنها قد بلغت قبل ذلك أسمى درجات النضج الشعري، لأنه الأصل في كل نهضة فكرية وأدبية، وأعظم الأمم فكرا وأدبا أعظمها شعرا"[1].

إن ربط التليسي النهضة الفكرية والأدبية في حياة الأمة بالنضج الشعري، هو من ناحية، يشير إلى أن الشعر الناضج، لا يتمثل في شعر من عاش على هامش الحياة وقلت تجاربه فيها، وإنما يتمثل في شعر الشاعر الذي "اتسعت تجاربه في الحياة، وكان لديه علم عميق بكثير من الأشياء وحقائق الوجود التي تحيط به. ورب شاعر من هذا الطراز أثر بشعره في الحياة الإنسانية أكثر من تأثير الفيلسوف فيها بفلسفته"[2]

وهو من ناحية ثانية، يشير إلى ربط النهضة الفكرية والأدبية بالعاطفة، لأن جوهر الشعر يتمثل في التعبير عن العواطف "وأن استخراج معاني الحياة والتعبير عنها إنما يرجعان إلى ما للإنسان من قوة العاطفة، لأن الحياة بمعناها الواسع لا تسيطر عليها الحقائق الخارجية، ولا الظروف الخارجية، ولا التفكير العقلي، بقدر ما تسيطر عليها العواطف، والعواطف هي التي تحركنا إلى العمل، وهي التي توجه الإدارة، وهي التي تحدد مجرى الحياة"[3].

[1] . رحلة عبر الكلمات، ص133.

[2] . في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص134.

[3] . النقد الأدبي، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1963م، 24/1.

المبحث الرابع ـ الوطنية:

موضوع الوطنية في الشعر من المواضيع التي لاقت اهتماما من قبل التليسي، وتعرض لها في العديد من المناسبات، لارتباطه بالوطن والأمة، وبالمواطن الليبي وقيمه وقضاياه الوطنية والقومية.

فالمواطن لا يعيش معزولا عن غيره من الناس، وإنما يعيش في وطن، وينتمي إلى أمة، وله محيط اجتماعي يتفاعل معه، ويتأثر به ويؤثر فيه، هذا التفاعل وهذا التأثير يدفعه إلى التعبير عن أحداث المحيط والوطن والأمة، وقيمها وقضاياها المختلفة، لكن كيفية التعبير عن هذه الأحداث والقيم والقضايا، هي التي يتفاوت فيها الشعراء، وفق ما هي في الواقع أو شائع بين عامة الناس، أم وفق إحساس الشاعر وفلسفته، وتمثلها في وجد انه.

فعلى مستوى الشعر العربي بعامة يرى التليسي أن ارتباط الشاعر العربي بالأحداث ليس جديدا عليه، وليس نتيجة دعوات هادفة، فقد "كان الشاعر العربي دائما صاحب موقف من الأحداث العامة التي كانت تطرأ على وجوده، وليس موقفه من الأحداث الوطنية إلا صورة مكبرة من موقفه من الأحداث في القبيلة التي كان يعبر عنها ويدافع من أجلها...لقد كان من نتائجها الواضحة، أن جعل الشاعر إنسانا يغادر فرديته، ويتخلى عن ذاتيته، ليدافع عن القضايا العامة كما تؤمن بها قبيلته أو قومه، أو كما تمليها عليه عقيدتهم السياسية"[1].

وارتباط الشعر العربي بالأحداث العامة بهذه الكيفية على رأيه، هو سبب مأساة الشاعر العربي في العصر الحديث "والتي تمثلت في استجابة غير واعية، وغير منبثقة من تحرر نفسي كامل، إلى الأحداث العامة، التي جعلته شاعر مناسبات، لا يندفع إلى النظم بوحي من نفسه، أو بوحي من العقيدة التي يعانقها، ولكنه يضل ينتظر الحدث حتى يطل عليه من مشكلة سياسية، أو خبر من الأخبار اليومية التي تنشرها الصحف، فهو لا يرجع إلى ذاته في الانفعال بالحادثة، ولكنه يرجع إلى الفكرة العامة التي يؤمن بها المجتمع، أو تعانقها

[1] . رفيق شاعر الوطن، ص72.

الجماهير، ولذلك قل الشاعر الذي يعيش الوطنية على مستوى الرائد المتقدم، ولكنه كان يعيشها دائما على مستوى التابع المنفعل"[1].

ويعتقد التليسي أن الموقف الذي فرض على الشاعر أو الذي تبناه بنفسه، هو المسؤول عن شيوع النزعة التقريرية، لدى شعراء المدرة الكلاسيكية العربية، من أمثال شوقي وحافظ، فقد "كان هؤلاء الشعراء يعيشون هذه القضايا من الخارج، فلم يبعد وصفهم لها عن تقارير الصحافة اليومية وتعليقاتها، وشاعت في شعرهم صفة الوعظ والإرشاد والتوجيه"[2].

وإذا كان هذا هو رأي التليسي في شعر شوقي الوطني في هذه المناسبة، فإن له في مناسبة أخرى رأي آخر يختلف عن هذا الرأي، وقد يكون مناقضا له، يقول فيه: "وشوقي شاعر عظيم ما في ذلك شك، ولكنه لم يكن متفردا في كل ميدان...أما الميدان الذي برز فيه دون غيره، فهو شعر الوطنية، عندما تكون الوطنية شعرا وطنيا مشتركا، يتغلغل في أعمق أعماق الإنسان، وهو شاعرها عندما تكون اعتزازا بتاريخ أمة، وتمسكا بكرامة شعب، وهو شاعرها عندما تكون حبا للأمة وأفرادها، وحبا للغتها وتراثها، وحبا لمجدها"[3].

ويرى التليسي أن التحول في هذا الجانب، لم يطرأ على الشاعر العربي إلا في الفترة القريبة من الحرب العالمية الثانية، حيث "أصبحت الوطنية من القضايا التي يعيشها الشاعر عملا، قبل أن يعيشها قولا، ويعي قضيتها العامة وعيا ناضجا متكاملا، لا يتفاعل فيه مع افتتاحيات الصحف وتعليقاتها، ولكنه يصدر فيه عن طابع شاعري، وذاتية متحررة واعية، ذات فكرة واتجاه في الحياة"[4].

فالشاعر الوطني عند التليسي مطالب بأن يكون له رأي وموقف من قضايا الوطن، لا أن يكون تابعا ومرددا لآراء الغير، إذ ليس الشاعر الوطني هو من

---

[1] . نفسه، ص72.

[2] . نفسه، ص73.

[3] . الوطنية في شعر شوقي، خليفة محمد التليسي، صحيفة الليبي، طرابلس، 1951/9/6م، نقلا عن خليفة محمد التليسي ناقدا وأديبا، مصطفى محمد جحيدر، ص60 . 61.

[4] . رفيق شاعر الوطن، ص74.

"ينظم مشاعر الناس، ولكن الشاعر الوطني هو الذي يعمق مشاعر الناس، ويضيف إليها إضافات نفسية جديدة، ويفتح وجدانها على آفاق لا عهد لها بها من قبل"[1].

وهذا المفهوم للشعر الوطني يراه التليسي متمثلا في وطنية الشابي في شعره، فهي "وطنية صادقة لا تخدم أغراضا طبقية، ولا تسير في ركاب حزب، ولا توحيها مناسبة هزيلة ضئيلة لا تخرج في سطحيتها وبرودها عن تعليق الصحف. وطنية متمردة، وطنية الشاعر الذي وعى رسالته، فأحس في أعماقه أنه مسؤول عن تبصير شعبه بمعاني الحياة الحرة الكريمة، مسؤولية الشاعر الذي احترم ذاته وكيانه واستقل بهما عن الآخرين، فأحب لشعبه أن يحقق ذلك في شخصية متميزة تتجه إلى المساهمة الحضارية الخالقة"[2].

ويعتقد التليسي عند مقارنته بين الشعر العربي القديم والمعاصر، من حيث القرب من الناس وقضاياهم، ومن حيث رسالة الشعر الفنية "أن الشعر المعاصر أقرب إلى الناس وخدمتهم من الشعر القديم، ورسالته الفنية أسمى مما كانت عليه في بعض العصور، فهو الآن يناصر دعوة الوطنية، ويصدع بالحق، ويقارع الباطل، ويشيد بمجد العرب والإسلام، وينعى عليهم تخاذلهم واستنامتهم إلى الأعداء، ويناهض الاستعمار ليظاهر الحرية"[3].

أما على مستوى الشعر الليبي بخاصة، فإن التليسي يرى أن النهضة الأدبية ، قد تأخرت فيها عن النهضة الأدبية في المشرق العربي، إلى أواخر العهد العثماني، وصوت التجديد فيها لم يظهر إلا على يد شعراء المدرسة التقليدية الذين تأثروا بأعلام هذه المدرسة في مصر والعراق، ولهذا فإن هذا الصوت لم يهز إلا هزة خفيفة، تمثلت في تنبيهه "إلى الاهتمام بالقضايا المعاصرة له، فارتبط بالتيارات والقضايا السياسية السائدة، وحمل التعبير عن

[1] . نفسه، ص74.

[2] . الشابي وجبران، ص70.

[3] . رحلة عبر الكلمات، ص141.

النزعة العثمانية، واهتم بقضايا الدستور والحريات العامة، والدفاع الوطني...في هذه المرحلة نلتقي بملامح المدرسة التقليدية في الشعر بكل ارتباطاتها بالأحداث العامة، وصياغتها التقريرية، وفهمها المحدود للتجديد...ويلاحظ أن الإحساس بالكيان الوطني قد بدأ يظهر في هذه المرحلة، بظهور الاتجاهات الوطنية والدعوات القومية"[1].

ومع ذلك فقد تجد فيه من شعر المناسبات، مما لا قيمة له ولا علاقة له بالشعر، فهو يضم "أخبار المواليد والأموات، وأنباء الزفاف والطلاق، والقدوم والسفر"[2].

وإذا كان الشعر الفصيح قد خمد إبّان فترة الاحتلال الإيطالي، ولم يواكب الأحداث الجسام التي مرت على الشعب الليبي، وتخلف تخلفا شائنا، فإن الشعر الشعبي على رأيه، قد تحمل عبء الدفاع عن الوطن، وحمل هموم الشعب في معاركه ضد الطليان، وصاحبه في جميع المعارك والسجون والمعتقلات.[3]

ويرى التليسي أن مرحلة جديدة من مراحل الأدب الليبي، قد بدأت بعد تحرير البلاد من الاستعمار، فيها يسهم الشعر "في معركة التحرر والاستقلال، ويرفع شعارات هذه المرحلة، ويرتبط كل الارتباط بالأحداث العامة، والقضايا السياسية، ويلتزم بها التزاما قويا، لا يكاد ينفصل عنها إلى الأغراض الشعرية الأخرى"[4].

ويعتبر التليسي الشاعر أحمد رفيق المهدوي على رأس شعراء المدرسة التقليدية في ليبيا، ويشيد بشعره الذي التزم فيه بقضايا الوطن من الناحية الموضوعية، في قوله: "ومع ذلك يضل رفيق أقوى صوت عرفه الشعب الليبي في مجال التعبير عن النزعات والأحداث الوطنية، ومهما كان رأينا في هذا الشعر من الناحية الفنية، إلا أننا من الناحية الموضوعية الخالصة، لا نملك إلا

[1] . نفسه، ص161 . 162.

[2] . نفسه، ص44.

[3] . ينظر: نفسه، ص164.

[4] . نفسه، ص165.

أن نحترم هذا الشاعر، الذي وقف دائما في الصف الأول من القضية الوطنية، فلا نعرف شاعرا غيره تفرغ للقضية، يوسعها شعرا، ويدافع عنها، ويشهر بأعدائها وخصومها كما فعل هو"[1].

ويؤكد التليسي أن حب الشاعر لوطنه هو المصدر الذي تدفقت منه وطنيته، واعتبر قصيدته (فراق)[2] التي قالها وهو يهم بمغادرة البلاد إلى المهجر "وثيقة فنية رائعة الدلالة على هذا الحب"[3]. لكن يرى أن الدعوات النقدية التي قامت حول هذه المدرسة أوجدت فيما بعد اتجاهات جديدة كان لها صداها عند الجيل الثاني من الشعراء، الذين ارتبطوا بالمدارس الحديثة، ولهذا انعكست مختلف الاتجاهات في نتاجات بعضهم.

ولأن التليسي كان مدركا لتلك التحولات التي بدأت تظهر على الساحة الأدبية في ليبيا، وشعورا منه بالمسؤولية نحو الوطن والأمة، وخوفا من انجرار الشعراء وراء تلك الاتجاهات والتيارات، التي كانت انعكاسا لصراعات وأزمات في بيئة غير عربية، وابتعادهم عن قضايا الوطن والأمة، فقد دعاهم إلى استلهام تجاربهم، والتعبير عن قضايا الأمة. يقول: "فلا نريد للشاعر أن يكون مرددا لبعض التجارب العالمية، ولا نريد لشعره أن يكون انعكاسات لأزمات خارجية، فإن ذلك يزيد في انفصاله عن الجماهير، وهو في حاجة إلى الأصالة التي تنبع من الشعور القوي بشخصية الأمة، نريد الشاعر الذي يتخذ من تعبيره عن ضمير أمته ولونها الخاص، وسيلة يعرض بها نفسه على الوجدان الإنساني"[4].

بل إنه في سبيل ذلك، يتساهل مع الشعراء في تحقيق الجوانب الفنية في إبداعاتهم الوطنية، فهو يؤكد على أهمية النزعة الخطابية، لأجل تحقيق تلك الغاية، شرط عدم طغيانها على الشاعر. يقول: "ولا شك أن هذه النزعة ضرورية، ومن الواجب أن تسود شعرنا، لأنها وسيلتنا لإيقاظ الغافلين السادرين،

[1] . رفيق شاعر الوطن، ص145.

[2] . ينظر: ديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي الفترة الثالثة. ص5453.

[3] . رفيق شاعر الوطن، ص135.

[4] . رحلة عبر الكلمات، ص168.

وسيلتنا لإلقاء لهيب الألم في كل نفس غافلة، بعيدة عن أن تحمل هذه المأساة التي نعيشها جميعا، ولكنها حين تطغى على الشاعر تجعل من شعره لونا من الشعر السياسي، الذي تتكرر فيه نفس الألفاظ، ونفس التعابير"[1].

وحب التليسي للشعر الوطني، وتأكيده على أهميته، وإشادته بشعرائه، ينسيه ما تقرر لديه من قيم فنية للشعر، وتوهم القارئ بأن التليسي كان متناقضا في آرائه بشأن الشعراء، وبخاصة شعراء المرسة التقليدية.

فشوقي ورفيق ومن كان على شاكلتهم من شعراء المدرسة التقليدية على رأي التليسي (يعيشون قضايا الوطن من الخارج، وكان وصفهم لها لا يبتعد عن تقارير الصحافة اليومية وتعليقاتها) وشوقي في الوقت نفسه (شاعر عظيم برز في شعر الوطنية عندما تكون الوطنية شعرا وطنيا مشتركا يتغلغل في أعمق أعماق الإنسان) ورفيق (أقوى صوت عرفه الشعر الليبي في التعبير عن النزعات والأحداث الوطنية، وهو من وقف دائما في الصف الأول من القضايا الوطنية).

وشعراء المدرسة التقليدية (شاع في شعرهم صفة الوعظ والإرشاد والتوجيه) والنزعة الخطابية هي من سمات الأسلوب النثري كالوعظ والإرشاد والتوجيه، ومع ذلك فإن هذه النزعة (ضرورية ومن الواجب أن تسود شعرنا).

إن هذا التناقض أو التعارض في بعض الآراء من قبل التليسي، لا يمثل في حقيقته تعارضا أو تبدلا في آرائه، وإنما يمثل اختلافا في زاوية النظر إلى الشعر، بين الزاوية الفنية، أو الزاوية الموضوعية، وبخاصة في موضوع الوطنية.

فحضور الشعر في حياة الأمة، يراه التليسي أمرا ضروريا في تقدمها وبناء نهضتها، وبخاصة في هذا العصر، فالشعراء على رأيه "هم الذين يجددون قوى الأمة الخامدة، ويبعثونها من البلادة"[2]. لأن "إشاعة روح الشعر هو بحد ذاته عمل من أعمال البناء"[3]. وحضور الموضوعات الوطنية في الشعر عنده،

[1] . من الحصاد الأول، ص174.

[2] . الشعر الفن الشعر الوثيقة، خليفة محمد التليسي، نقلا عن خليفة محمد التليسي ناقدا وأديبا، ص51.

[3] . نفسه، ص52.

ضرورة ملحة، فرضتها أحوال الأمة والوطن، ومن ثم أصبحت أساسا من أسس الحكم على الشعر من الناحية الموضوعية، وهي دعوة إلى التزام الشاعر بقضايا هما وأحداثهما المختلفة.

وقضية الالتزام، هي من القضايا التي دار بشأنها جدل كبير بين النقاد، وبخاصة دعاة (الفن للفن) ودعاة (الفن للحياة) وأتباع مذهب (الواقعية الاشتراكية) وأتباع مذهب (الوجودية) ويراد بالتزام الشاعر "وجوب مشاركته بالفكر والشعور والفن في قضايا قومه الوطنية والإنسانية، وفي ما يعانون من آلام ويبنون من آمال"[1].

والتليسي من دعاة الالتزام، والالتزام الذي يدعو إليه هو ما كان نابعا من ذات الشاعر، ومن الشعور بشخصية الأمة، وليس مفروضا على الشاعر من الخارج. يقول عند مناقشته لهذه القضية: "لا ينبغي أن تصور القضية هنا على أنها صراع بين مفاهيم الفن للفن والفن للحياة، فأنا لا أرفض الالتزام النابع من ذات الشاعر، والشاعر هو عندي ملتزم على الدوام، دون حاجة إلى أن نبحث له عن دور، أو نحدد له وظيفة، ولكنها قضية شعر أو لا شعر"[2].

والالتزام النابع من الذات عند التليسي، لا يعني إغراق الشاعر في الذاتية عند تناوله لقضايا الوطن والأمة، وتحويل الشعر إلى طلاسم، لا معنى لها، ولا فائدة من ورائها، مما يقلل من قيمته في مقابل الشعر العربي القديم، الذي كان شاعره "ملتزما في حدود مصطلحه القديم للشعر بضمير(الجماعة) التي كان يفهمها وتفهمه، أما الشاعر في المصطلح الحديث للشعر فهو ملتزم (بخصوصية ذاته) حتى عندما يتبنى قضايا الجماعة، ويتحدث عنها، فإنه يسلك

[1] . النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة . ودار العودة، بيروت، 1973م، ص484.

[2] . الشعر الفن والشعر الوثيقة، خليفة محمد التليسي، صحيفة الفجر الجديد، ليبيا، 1976/7/17م، رقم العدد: 1207، نقلا عن: خليفة محمد التليسي ناقدا وأديبا، ص51.

لذلك طريقا من الخصوصية الذاتية المتفردة ...وهنا يكون الغموض، وتكون الغربة، ويكون اللا معنى"[1].

والشعر الملتزم عند التليسي، لا يعني الارتباط بالأحداث والمناسبات ارتباطا صحفيا إعلاميا، بل هو التزام بقضايا البناء والتحرير. يقول في ذلك: "والواقع أن الشعر بما هو تعبير عن جوهر الأمة وعبقريتها الكامنة، إنما هو شعر وطني ملتزم بالتحرير والبناء، حتى عندما يصف زهرة أو طفلة أو منظر غروب، بل إنه يكون حين ذاك، أسمى وطنية وأكثر ارتباطا بكل معاني البناء والتحرير، بناء الإنسان وتحريره من العامية والقبح والابتذال، ورصد الاهتزاز فيه لكل معاني الخير والجمال، فهو في هذه الحالة أسمى وطنية، وأرقى من هذه الوطنية التي ترتبط بالأحداث ارتباطا صحفيا إعلاميا"[2].

المبحث الخامس . الموضوعات أو الأغراض التقليدية:

لم تنل موضوعات الشعر وأغراضه التقليدية كالمدح والهجاء والغزل والرثاء وغيرها، كبير عناية من قبل التليسي، ولم تحض بمكان بارز في كتاباته النقدية، فباستثناء موضوع الغزل الذي تعرض له التليسي ضمن موضوع المرأة، فإن حديثه عن غيره كان عرضيا وفي سياق حديثه عن الشعر والشعراء في العصور العربية القديمة، أو في عصر الانحطاط، أو عند المدرسة التقليدية، أو مدرسة المهجر.

ففي سياق حديثه عن الشعر العربي القديم، واحتفاء القبائل بشعرائها، وصفا لصفات التي اعتمد عليها الشعراء في هجائهم بأنها: "ليست من الشعر في

[1] . موت الشعر في القصيدة، محاضرة ألقاها خليفة محمد التليسي في إحدى جلسات المنتدى الأدبي، نقلا عن: خليفة محمد التليسي ناقدا وأديبا، ص53 . 54.

[2] . تأملات في نقوش المعبد، خليفة محمد التليسي، كتاب الشعب، طرابلس، 1986م. نقلا عن: خليفة التليسي الإبداع والمعرفة، محمود قاسم، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط1، 1996م، ص73.

شيء، ولكنها من الوقاحة كل شيء"[1]. وذكر أن الهجاء المتمثل في البذاءة والقدرة على الإقذاع المسكت للنيل من الآخرين "ينطوي على تحقير لقيمة الشعر، وغض من شانه، ونزول بمستواه"[2].

ويعتبر التليسي المدح لغرض النفع والتكسب "قص أجنحة الشعر، وتركه يقفز في مجال محدود، وافق ضيق، لا يسمو إلى آفاق الفكر الخالد، والوجود العميق، والحياة الغامضة، فهو يسعى وراء طين، يسبغ عليه من الأوصاف ويضفي عليه من النعوت أكذبها، ويجهد قريحته، ويعيي عبقريته، ليلقي ببخورها في مجامر التسبيح والتحميد"[3].

وفي سياق الحديث عن قضاء الروح الاتباعية على شخصيات الشعراء في عصر الانحطاط، ذكر أن هذا القضاء ، انعكس على مواضيع شعرهم، فإذا "مدحوا قالوا عن الممدوح أنه كريم، وأنه عظيم، وأنه باسل، وأنه صبور...وإنه...وإنه...وإذا تغزلوا أقصى ما يحيطون به، إعجابهم بالخصر النحيل، والخد الأسيل، والردف الثقيل...وإذا رثوا تباكوا ثم دفنوا الفضائل كلها مع الفقيد العزيز، أما الصفات المميزة للممدوح وللعشيقة وللميت، فلا نصيب لها من إبداعهم، لأنهم لا يطيقون النفاذ إلى أعماق النفس الإنسانية، مكتفين بتلك النعوت، وهي أشبه ما تكون بالثياب الجاهزة"[4].

ومن مآثر المدرسة المهجرية التي يقدرها ، أنها ثارت "على مواضيع الشعر، وسمت به عن الأغراض الرخيصة التافهة، وارتفعت به إلى آفاق إنسانية سامية"[5].

والتليسي وإن أظهر عدم ميل إلى هذه الأغراض، فإنه لا يرفضها جملة وتفصيلا، وإنما يرفضها إذا كانت بالصفة التي أشار إليها، أما إذا توافرت فيها

[1] . رحلة عبر الكلمات، ص138.
[2] . رفيق شاعر الوطن، ص101.
[3] . رحلة عبر الكلمات، ص138 . 139.
[4] . من الحصاد الأول، ص160 . 161.
[5] . نفسه، ص161.

روح الشعر، أو حققت أهدافا سامية، أو أظهرت براعة فنية في صياغتها، فإنه يقبل بها.

فهو لا يستهين بالمديح، ولا يستهجنه، وإنما يعتبره "من لب الشعر وصميمه، إذا كان صادرا عن عاطفة صادقة، كما صدرت قصيدة الفرزدق في مدح علي بن الحسين"[1]. ويرى أن شعر المدح عند شعراء المدرسة التقليدية "قد اكتسب في كثير من الحالات، سمة عاطفية نفسية، ترفعه من مقام المدح المبتذل، الذي كان يتكسب به الشعراء، وتجعله قريبا من ذلك الشعر الذي اندفع الشعراء إلى نظمه إعجابا بالرجولة، وإكبارا للبطولة، وإشادة بالقيم العليا المتمثلة في شخصيات العظماء"[2].

وهو يقبل بالهجاء، إذا لم يكن سبا وشتما وهتكا للأعراض، ولهذا يعدّ أصدق ما قيل في تحديد الصفة الفنية للهجاء، قول الجرجاني: "أما الهجاء فأبلغه ما خرج مخرج الهزل والتهافت، فأما القذف والافحاش فسباب محض "[3].

ولذلك فإن رفيق في هجائه السياسي عند التليسي، على الرغم من استعماله ألفاظا سوقية مبتذلة، لكنه "يبدع أحيانا إذا لجأ إلى أسلوب الوصف الكاريكاتيري"[4].

النتائج:

بعد هذا العرض والتحليل، فإنه يمكن، استخلاص النتائج التالية:

[1]. رحلة عبر الكلمات، ص139.

[2]. رفيق شاعر الوطن، ص99.

[3]. نفسه، ص101. النص الصحيح والكامل لما قاله الجرجاني، هو " فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب، ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن، وتصحيح النظم" الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، عنى بطبعه وتصحيحه وشرحه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، 1331هـ ، ص27.

[4]. رفيق شاعر الوطن، ص102.

- موضوعات الشعر الرئيسة التي أولاها التليسي عناية في كتاباته النقدية هي: المرأة، والطبيعة، والحياة، والوطنية.
- تفضيل التليسي للشعر العربي المعاصر على القديم في شعر هذه الموضوعات، لكونه الأقرب إلى حياة الناس في هذا العصر، وإلى قيمهم الفنية والإنسانية.
- ميله إلى النزعة الرومانسية في شعر هذه الموضوعات، وتفضيلها على النزعة الكلاسيكية، وتقديمه لمسلك شعراء المهجر التجديدي في التعبير عنها.
- احتل موضوع المرأة في الشعر مكانا بارزا في كتابات التليسي النقدية، وقد بدى

من خلاله محبا للمرأة، ومدافعا عنها، ومشيدا بدورها المركزي في الحياة، وبتأثيرها في حياة النابغين والعظماء، داعيا إلى رفع ما لحق بها من ظلم وسوء معاملة واعتقاد.

- ربط وضع المرأة في الشعر، بالوضع الاجتماعي والمعيشي السائد في البيئة والعصر، ومكانتها فيهما، وبالتكوين الجسمي والنفسي للشاعر، وبمذهبه الشعري وفلسفته في الحياة.
- التأكيد على أهمية التمييز في شعر الطبيعة بين إحساسين: بين إحساس من يصف الطبيعة وصف العابد لروعة معبده، وينظر إليها نظرة عاطفية، تنبثق من مشاركته لمظاهرها وعناصرها، وبين إحساس من يصفها لأنه يراها وسيلة من وسائل اللذة والمتعة، بالوقوف على مشاهدها وتتبع دقائقها، وتفضيله الإحساس الأول على الثاني، واعتباره الأمثل في الشعر.
- أن رسالة الشعر وقيمته ومعاصرته، لا تتحقق إلا من خلال اتصاله بالحياة، والتعبير عنها بعمق وفلسفة خاصة، للكشف عن أسرارها البعيدة الكامنة في أعماقها.

- التأكيد على أهمية حضور المعاني الوطنية في الشعر، واعتبارها ضرورة ملحة فرضتها أحوال الأمة والوطن، وأساسا من أسس الحكم على الشعر من الناحية الموضوعية.
- أن الشعر الملتزم هو النابع من الذات، والمعبر عن قضايا البناء والتحرير، وليس المفروض على الشاعر من الخارج، أو المرتبط بالأحداث والمناسبات ارتباطا صحفيا وإعلاميا.
- إشادة التليسي بدور شعراء المدرسة التقليدية في التعبير عن قضايا الوطن والأمة، وفي إثارة الجماهير، وبث روح الوطنية في نفوسهم.
- التغاضي في بعض الأحيان عن الجوانب الفنية في شعر الوطنية، والقبول بالنزعة الخطابية والتقريرية، ما دام الشعر محققا للغايات المنشودة.
- إبداء الأسف من جمود الشعر الليبي، وتأخر شعرائه عن شعراء المشرق العربي، وضعف إمكانياتهم الفنية في التعبير عن هذه الموضوعات.
- اختلاط الذاتي بالموضوعي، والنقدي بالإصلاحي، في تناول التليسي لمعاني الشعر وموضوعاته.
- إهمال موضوعات الشعر وأغراضه التقليدية، وعدم القبول بها، إلا إذا توافرت فيها روح الشعر، أو حققت أهدافا سامية، أو أظهرت براعة فنية في صياغتها.
- ربط النضج العقلي والفكري في المجتمع بالنضج الشعري، واعتبار الشعر هو الأصل في كل نهضة فكرية وأدبية.

المصادر والمراجع

الحب المثالي عند العرب، يسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

خليفة التليسي الإبداع والمعرفة، محمود قاسم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1996م.

خليفة محمد التليسي ناقدا وأديبا، مصطفى محمد جحيدر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1395و.ر . 1986م.

ديوان أبي القاسم الشابي، قدم له وشرحه: أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ 2005م.

ديوان شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المهدوي . الفترة الثالثة . المطبعة الأهلية، بنغازي، 1382هـ . 1962م.

رحلة عبر الكلمات، خليفة محمد التليسي، مطابع الثورة العربية، طرابلس، 1974م.

رفيق شاعر الوطن، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس . تونس، 1988م.

الشابي وجبران، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس . تونس، ط4، 1398هـ . 1978م.

شعرية السرج السابح، سالم العوكلي، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ط1، 1370 و.ر . 2002م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ . 1981م.

في النقد الأدبي، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

قصيدة البيت الواحد، خليفة محمد التليسي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م.

مختارات خليفة محمد التليسي من روائع الشعر العربي . المفردات . ، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس . تونس، 1991م.

معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد، طرابلس، ط1، 2001م.

معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

من الحصاد الأول، خليفة محمد التليسي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1398و.ر . 1989م.

النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة . ودار العودة، بيروت، 1973م.

النقد الأدبي، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1963م.

نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1398هـ . 1978م.

الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، عنى بطبعه وتصحيحه وشرحه: أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، 133.